كفاح بشير السعداوي النضالي في ليبيا وخارجها حتى الاستقلال 1951م

د . نجمي رجب ضياف
كلية الآداب – جامعة طرابلس

المقدمة:

تجدر الإشارة هنا بأن شخصية بشير السعداوي قد تميزت بمكانتها السياسية والاجتماعية البارزة في تاريخ كفاح الشعب الليبي من أجل طرد المستعمر الأجنبي ووحدة التراب الليبي طيلة النصف الأول من القرن العشرين، وقدر له أن تكون حياته مواكبة لفترة تاريخية عصيبة عاشتها بلاده وواجهت خلالها الكثير من التحديات الداخلية والخارجية وخاصة مسألة الأطماع الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة ومحاولات السلطات الإيطالية تفتيت التراب الليبي .

من هذا المنطلق حرص بشير السعداوي على مقاومة الاحتلال الإيطالي بمختلف الوسائل وأيقن جازماً أن ذلك لن يتحقق ما لم يتم توحيد الصفوف الوطنية تحت قيادة وطنية مخلصة تحقق استقلال الوطن ووحدة ترابه .

والجدير بالذكر أن شخصية السعداوي النضالية لا يمكن أن تكون هذه الصفحات وغيرها من الأبحاث الأخرى تعطي حقه التاريخي كاملاً، ولكن من المفيد هنا أن هذا البحث يهدف إلى تسليط بعض الضوء على الدور الكبير الذي قام به السيد بشير السعداوي في سبيل الوقوف بحزم وصلابة في وجه الاحتلال الإيطالي بقيادة وطنية واحدة تقود حركة الجهاد العسكري والنضال السياسي لإقليمي طرابلس وبرقة تحت راية وطنية واحدة .

ومن هذا المنطلق يحاول البحث الإجابة على عدة تساؤلات لإثراء الدراسة والتي تحتاج إلى إجابات علمية وموضوعية والتي من أهمها : من هو بشير السعداوي ؟ وما دوره في مقاومة الاحتلال الإيطالي ؟ وما الدور الوطني الذي لعبه في مسألة توحيد الصف الطرابلسي ؟ وما دوره في توحيد الزعامة بين إقليمي طرابلس وبرقة ؟ وكيف أسس المؤتمر الوطني ؟ وما هي أهداف هذا المؤتمر ؟ وما هي جهود السعداوي السياسية داخل وخارج ليبيا حتى الاستقلال ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها ستجيب عليها هذه الدراسة بالاعتماد على بعض المصادر والكتب المرجعية والدوريات العلمية حسب المنهج التاريخي المتبع في هذا المجال.

أولاً : نبذة تاريخية عن مولده و نشأته :

ولد بشير بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي في مدينة الخمس شرق مدينة طرابلس أواسط سنة 1310 هـ الموافق 1884 م، وكان والده يشغل عدة وظائف من أهمها مأمور الإجراء (تنفيذ الأحكام) ثم صار أميناً لصندوق مركز متصرفية الخمس وقد توفى سنة 1886 م مخلفاً ثلاثة أولاد وهم نوري وأحمد وبشير، وكان عمر بشير وقتها سنتان فكفله عمه الصادق ورباه . وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية، ونشأ بشير السعداوي كغيره من صبية المدينة والتحق بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، غير أن انتقال شقيقه نوري السعداوي إلى مدينة سرت لتولي مدير مال قضاء سرت اضطره للانتقال معه إلى هناك، وفي سرت التحق بشير السعداوي بكتاب الزاوية السنوسية فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشر من عمره وذلك في سنة 1897م[1].

وينتمي بشير السعداوي إلى قبيلة الغلالبة نسبة إلى جدهم الاكبر عبد الغالب وينتهي نسبها إلى بني الأغلب الذين أسسوا دولتهم في الشمال الأفريقي (القيروان – تونس) في القرن الثالث الهجري والتاسع ميلادي[2] .

عاد بشير السعداوي بعد أن تم حفظ القرآن في كتاب الزاوية السنوسية في سرت إلى الخمس وقرأ فيها علوم الفقه المالكي والتفسير والتوحيد وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأدب والبلاغة والعروض وعلم التوحيد وعلم الفرائض، وحين رغب في استكمال دراسته الحديثة لم يجد أمامه سوى المدرسة الرشدية بالخمس فالتحق بها سنة 1902 م فتعرف على نوع جديد من التعليم يعتمد على مناهج منظمة وموجهة في المدارس الحديثة في البناء والإدارة والأسلوب خلال العهد العثماني الثاني[3].

ومن اللافت للنظر أن بشير السعداوي بشخصية معلمه التركي المدعو حقي شيناص فأخذ يتقرب إليه وينهل من علمه فنال إعجاب معلمه الذي توسم فيه الجدية والمثابرة والنبوغ فقربه من مجلسه بعد أن ظهرت بوادر موهبته ورجاحة عقله وتفوقه العلمي وشجعه على استكمال دراسته في غضون سنتين بدلاً من أربع سنوات[4].

كان التعليم القرآني للسيد بشير السعداوي المحور الأكبر في تبلور شخصيته لأنه كثيراً ما استشهد بالآيات القرآنية في أحاديثه وخطبه وفي إقناع الأخرين، وكان في نفسه عزة إسلامية وإيمان عميق وكان يؤمن ويأمل بأن يحقق للإسلام كيانه ودولته[5].

وغيرها(6).لى ما تعلمه بشير السعداوي في الكتاب والمدرسة الرشدية فإنه كون ثقافته الواسعة بمطالعته لأمهات الكتب العربية ككتاب النهاية لمجد الدين ابن الأثير، وكتاب الطبقات لأبن سعد وكتاب المقدمة لأبن خلدون، بالإضافة إلى كتابات بعض المعاصرين من أمثال الإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي، وإصدارات بعض الصحف العربية كصحيفة المؤيد واللواء ... وغيرها[6] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد تأثر بشير السعداوي بأفكار عبد الرحمن الكواكبي (1849 – 1903) والذي نادى بنصرة المستضعفين والوقوف ضد الاستعمار دون التعصب الديني و دعا إلى إقامة خلافة عربية موحدة مركزها مكة المكرمة، وقد

ظهرت في الخمس حلقات سرية تناقش قضية استقلال العرب عن الإمبراطورية العثمانية حيث تأسس في الخمس جمعية سرية برئاسة السيد بشير السعداوي[7].

ولا شك أن العلوم الكثيرة التي تعلمها بشير السعداوي قد أثرت في تكوين ثقافته وفتحت أمامه أبواب المطالعة والبحث وأهلته منذ صغره للاشتغال بأمور السياسة والمجتمع ، فأصبح رجلاً من رجالات الدولة العثمانية بولاية طرابلس الغرب حيث تم تعيينه في بادئ الأمر في وظيفة مأمور أعشار ثم منشئا لقلم التحريرات بالخمس ثم مفتشاً لدوائر النفوس (مصلحة الإحصاء) ثم محققاً لمحاكمة الموظفين ثم مديراً للتحريات منذ سنة 1909م وحتى سنة 1911م وهو أول ليبي يتولى ذلك المنصب الإداري الرفيع بموجب قرار صادر من الأستانة مباشرة وظل به حتى وقع الغزو العسكري الإيطالي المسلح في 5 أكتوبر 1911م فهب بشير السعداوي مع أبناء وطنه للدفاع عن تراب وطنه الحبيب بالسلاح[8].

ومع بداية الغزو الإيطالي (لليبيا) عام 1911م، تم تعيين بشير السعداوي قائمقام[9] لساحل آل حامد بالقرب من الخمس فنال ثقة القادة ثقة القادة الأتراك والمجاهدين الليبيين الذين قرروا أن يتولى بشير السعداوي قيادتهم في معارك الجهاد بتلك الأنحاء مع أصدقائه المقربين من أمثال الشيخ عبد الرحمن الزقلعي وعمر النعاس وغيرهم[10].

ثانياً –نضال الوطن في إقليم طرابلس:

بعد ان انتهت الحرب العالمية الأولى سنة 1918م وهزيمة العثمانيين فيها اتجه بشير السعداوي بكامل قواه لنصرة القضية الليبية والجهاد في سبيل استقلال بلاده، التقى بشير السعداوي في تركيا بالسيد أحمد الشريف، ولكن الأتراك لم يتحمسوا لدعم هذا العمل كثيراً، فقرر بشير السعداوي العودة إلى بلاده في أوائل سبتمبر 1921م، فحضر في أكتوبر مؤتمر غريان[11]. انتخب بشير السعداوي فيه عضوا واحتل فيه مكانة مرموقة لما أبداه من سداد في الرأي والتوفيق بين رؤساء القبائل وجمع كلمتهم

ضد الغزو الإيطالي[12]. عدته القبائل ممثلاً لها عند زيارة ولي العهد الإيطالي سنة 1921م، حيث ألقى خطبة أفهمه فيها أماني الليبيين في الاستقلال ،وإن تصرفات الطليان المستعمرين ما هي إلا شر مطلق[13].

في سبتمبر سنة 1922م أخذ البيعة من الطرابلسيين إلى إدريس السنوسي[14] باجدابيا، وبهذا يكون بشير السعداوي قد أسهم في وضع أقدام الليبيين على الطريق الصحيح باتجاهالاستقلال والوحدة التي أتت أكلها فيما بعد سنة 1951م بإعلان المملكة الليبية المتحدة .

مارست إيطاليا أسوأ أساليبها الاستعمارية في ليبيا وقد أصدرت حكماً بالإعدام على بشير السعداوي مما أضطره إلى الرحيل سنة 1923م إلى مصر ومنها إلى بيروت سنة 1924م ثم شد رحاله إلى دمشق، حيث أستأنف نشاطه النضالي ضد الاستعمار الإيطالي[15].

كان ثمرة جهده إصدار كتاب (الفظائع السود الحمر)، أوضح بشير السعداوي في ذلك الكتاب، والذي يعد سجلا لكفاحه ضد المستعمر الإيطالي والتي لم يكن هناك يد من أن يخوض غمارها بالأقلام والتي أسماها (حرب الأقلام)، موضحاً المقاومة العربية الليبية في طرابلس وبرقة، وبذلك رسخ في ضمير العالم العربي والإسلامي والعالمي الممارسات الإيطالية المشينة والاضطهاد الذي مارسوه ضد الليبيين من فضائح مما لا يمحا أثره[16].

أسس بشير السعداوي في دمشق أول هيئة نظامية للدفاع عن بلاده التي تعتبر أول هيئة أسست خارج حدود ليبيا للعمل على الاستقلال، وهي (جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام)، وانتخب بشير السعداوي رئيساً لها، ونظراً لنشاطاتها ظهرت فروع في سوريا ولبنان، وفلسطين، والهند، وتونس، والجزيرة العربية، وصار لها فروع ومراسلين من كل هذه الجهات، وفي مصر استمرت العلاقة بينه وبين مواطنيه المجاهدين[17]في هذا البلد، وكان من المنتظر كذلك أن يطلب هؤلاء من

بشير السعداوي أن يمثلهم في المؤتمر الإسلامي، وعليه فقد كتب إليه من القاهرة الشيخ الطاهر أحمد الزوى بتاريخ 17 فبراير 1931م نتضح من مطالعته أمور ثلاث:

أولاً: إن المهاجرين في القطر المصري يقرون زعامة بشير السعداوي في ميدان الجهاد وهو ميدان للسعداوي فيه (صحيفة بيضاء) ويقبلون هذه الزعامة بطيب خاطر .

ثانياً: اعتقاد المهاجرين من مصر أن وطنية السعداوي (إيماناً) راسخ لا يلبث بقوته أن يزيل من أمامه أي صعوبات مادية قد تعترض طريقه إلى المؤتمر لتمثيل أمته ووطنه .

ثالثاً: مبادرة المهاجرين في هذا القطر إلى إرسال أي معلومات قد تصلهم من ليبيا أو أي منشورات أو رسائل قد يطبعونها في مصر عن فضائع الاستعمار الإيطالي الفاشستي في بلادهم[18].

لقد جمع بشير السعداوي حوله جميع الأحزاب الطرابلسية وتمكن من استمالة قسم كبير من الطرابلسيين إلى جانبه، وبذل جهوداً كبيرة في توحيد الصف الطرابلسي وكان ممثلاً لإقليم طرابلس في تواصله مع برقة وسعيه إلى استقلال البلاد ووحدتها تحت التاج السنوسي[19].

ثالثاً–دوره في قضية استقلال ليبيا:

أدرك بشير السعداوي بأن القضية الليبية تفتقر إلى قيادة موحدة، ففي غضون الأشهر الستة الأولى من عام 1947م تألفت في القاهرة (هيئة تحرير ليبيا) فأنضم إليها من أبناء ليبيا المجاهدين برئاسة السعداوي، وقد أبدت هذه الهيئة نشاطاً عظيماً لخدمة القضية الليبية في القطر المصري أو في ليبيا ذاتها. فعملت على جمع الكلمة وتوحيد الجهود وتنوير الرأي العام في الأقطار الشقيقة، وبسط القضية الليبية بسطاً عادلاً جامعاً شاملاً، وتوصلت هذه اللجنة بفضح كثير من مستعمراتها تحت

شعار(الوصايا)، الأمر الذي رفضه الليبيون رفضاً باتاً، إذ صمم الشعب الليبي على حد ما جاء في بيان هيئة تحرير ليبيا ذاتها، " تصميماً قاطعاً على أن يحقق استقرار ليبيا التام مهما كلفه من تضحيات وبذل في الدماء والبنين والحياة"[20]. وفي مايو 1947م أعدت الهيئة مذكرة من ممثلي الشعب الليبي إلى وزراء خارجية الدول الكبرى في شأن استقلال ليبيا بسطت فيها من جديد مطالب الشعب الليبي وهي: **ليبيا وحدة لا تتجزأ . ليبيا تطالب بالاستقلال . ليبيا تريد الانضمام إلى جامعة الدول العربية.**

وقد اختتمت الهيئة هذه المذكرة التاريخية بالفقرات الآتية: "أخذت وجهة نظر أهل ليبيا من ناحية وضعهم السياسي في أن إيطبلادهم. تنازلت في معاهدة الصلح عن كل حق لها في بلادهم . ولما كانت الدولة العثمانية قد تنازلت من قبل هي الأخرى عن كل حق لها في بلادهم وذلك في معاهدة لوزان بتاريخ 18 – أكتوبر – 1912م، ومعاهدة لوزان الثانية في 24– يوليو– 1923م،فقد تحررت بلادهم وحكم أنفسهم بأنفسهم".

بيد أن هيئة تحرير ليبيا سرعان ما وجدت لزاماً عليها أن تعالج الموقف بما كانت تقتضيه خطورته من حكمة وعزم، عندما أوفد مجلس النواب وزراء الخارجية (لجنة تحقيق الرباعية) من مندوبي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وفرنسا لتفحص أحوال المستعمرات الإيطالية السابقة والوقوف على رغبات أهلها، بل البت في مصيرهم، فشدت هيئة تحرير ليبيا رحالها إلى أرض الوطن في فبراير 1948م[21].

تألفت هيئة تحرير ليبيا من (بشير السعداوي، أحمد السويحلي، محمود المنتصر، جواد زكري، طه المريض، منصور بن قدارة)، وكان الغرض من تلك اللجنة (السعي إلى استقلال ليبيا بحدودها الطبيعية أي من الحدود المصرية إلى الحدود التونسية والجزائرية إلى الصحراء الكبرى جنوباً والتعاون مع الجامعة العربية

والتفاهم في كل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه ويؤمن رفاهية الشعب الليبي وتقدمه وكذلك السعي بكافة الطرق المشروعة داخلياً لتنوير الرأي العام وتوحيد الصفوف وتوجيه الجهود الوطنية واجتناب كل دواعي الجدل والخلاف والشقاق على نظام الحكم وطرائقه وأن يبحث كل ذلك ممثلو الشعب بعد الاستقلال للصالح العام والمحافظة على وحدة الكلمة في خدمة للكفاح والحرية، وخارجياً بالدعوة في جميع الجهات على تأييد الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة الأقوام في جميع الميادين[22].

شرع بشير السعداوي في الاتصال بالزعماء الطرابلسيين والبرقاويين[23]، موضحاً لهم ضرورة التخلي عن الخلافات الإقليمية والمحلية في سبيل (المصلحة العليا)، وأنه إن لم يعترف الليبيون في برقة وطرابلس بزعامة السنوسية فإن ليبيا (لن يتاح لها أن تعود دولة موحدة)[24]. وجعل من ذلك شعاراً تبناه حزب المؤتمر الوطني الذي كان يتزعمه[25].

ومن هنا تتضح حنكة وسياسة وبراعة بشير السعداوي من خلال اصراره على توحيد الزعامة الليبية في شخصية الأمير محمد إدريس السنوسي التي كانت محل احترام وتقدير شريحة كبيرة من الليبيين وان كل المعطيات تشير على أن الأمير محمد ادريس السنوسي هو الأوفر حظاً من غيره في توحيد الزعامة الليبية على يديه وتحت ظل التاج السنوسي، وأنه لو ضاعت هذه الفرصة فربما تضيع وحدة ليبيا بأقاليمها الثلاث طرابلس وبرقة وفزان.

إن السيد بشير السعداوي كرس حياته من أجل حرية واستقلال ووحدة ليبيا، ورغم أن السيد بشير السعداوي على المستوى الشخصي لم تكن لديه أي عوائق تحول دون تمكنه من العيش حياة رغدة كريمة، فقد كانت خبرته وعلمه مطلوبين في أكثر من دولة من الدول العربية والإسلامية، فقد استمر الأتراك بعد خروجهم من ليبيا بموجب اتفاقية لوزان سنة 1912م في الاستعانة بخبرته وامكانياته العلمية وقلدوه مناصب

عدة في دولتهم، غير أنه أدار ظهره لكل ذلك وقرر العودة إلى الوطن للكفاح من أجل الحصول على حريته واستقلاله[26].

رابعاً–مؤسس المؤتمر الوطني في مارس 1948م:

بعد عودة السيد بشير السعداوي إلى طرابلس عام 1948م أسس في الأول من مارس 1948م، المؤتمر الوطني، واتخذ من ناديه مكتباً ومقراً له، مارس فيه جميع مهامه الوطنية، خادماً هدفه الأساس في مطلبين هامين وهما: **الاستقلال. منع تقسيم ليبيا**[27].

وهذه الأهداف السامية التي حرص على تحقيقها بكل الطرق والوسائل المشروعة، حيث أنه لم يدخر جهداً في سبيل الدفاع عن حرية واستقلال ووحدة ليبيا.

قاد بشير السعداوي في سفره إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة، العديد من المظاهرات ودعا الأحزاب الليبية إلى الاتفاق على أن ليبيا مستقلة تحت شعار إمارة سنوسية[28].

وعمل جاهداً مع مجموعة المناضلين الليبيين لإسقاط مشروع بيفن – سفورزا، الداعي إلى تقسيم ليبيا ووضعها تحت الوصاية الأجنبية، بفضل جهود المناضلين الليبيين في الخارج اسقط المشروع، حتى أن بريطانيا أعلنت بأنها لم تعد ترى إنها مرتبطة بأي المقترحات الواردة في مخطط بيفن – سفورزا[29].

إن مشروع (بيفن سفورزا) الشهير الذي كان يقسم ليبيا إلى مناطق نفوذ : برقة لبريطانيا، وطرابلس لإيطاليا وفزان لفرنسا، وقدم مشروع بيفن سفورزا إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة يوم 8 – مايو– 1949م وهزم يوم 17– مايو– 1949م ولكن جهود الليبيين في الخارج وأبرزهم السيد بشير السعداوي أثمرت نتائجها في إسقاط هذا المشروع، وتم افشال مخطط تقسيم ليبيا[30].

خامساً –نشاطات السعداويفي ليبيا وخارجها:

قاوم السيد بشير السعداوي الاحتلال الإيطالي منذ لحظاته الأولى التي وطئت أرض ليبيا، ومن أشهر المعارك التي خاضها بشير السعداوي معركة زاوية المحجوب ومعركة بئر فلاجة سنة 1923م في منطقة مصراتة التي كاد يفقد فيها حياته عندما حاصرته القوات الإيطالية بالثكنة العسكرية بالقصر الحكومي بالقرب من مدينة مصراتة[31].

وغيرها.كمل بشير السعداوي مهامه المكلف بها في مدينة مصراتة أختار محمد بك الأدغم ليتولى مهمة تنظيم حركة المقاومة في مصراتة ثم رجع إلى الخمس لينضم إلى إخوانه المجاهدين هناك واستمر في جهاده ضد الاحتلال الإيطالي إلى أن تم التوقيع على معاهدة أوشي لوزان بين الدولة العثمانية وإيطاليا في 18 أكتوبر 1912م، فهاجر بشير السعداوي وأسرته برفقة متصرف الخمس إلى بلاد الشام فوصلوا إلى حيفا بفلسطين أواخر شهر نوفمبر 1912م ومنها واصلوا سيرهم براً إلى سوريا ثم تركيا ليستقر هناك فترة من الزمن وتكلفه الحكومة التركية بعدة مهام إدارية من أهمها قائمقام ينبع البحر بالحجاز (غرب المملكة العربية السعودية) في فبراير سنة 1915م التابعة لمتصرفة المدينة المنورة وفيها واجهته عدة مشاكل ومعضلات منها ما هو إداري وأمني، خاصة مع بدو الحجاز لما كانوا عليه جفاء وتخلف ولم يحترموا ولايته لأنه كان معيناً من قبل الترك الذين كانوا يبغضون حكمهم الجائر، مما أدى إلى الثورة العربية الكبرى في 9 يونيو 1916م بقيادة الشريف حسين أمير مكة الذي ثار على الأتراك ونادى بدولة عربية وطلب مساعدة من الإنجليز من أجل تحقيق ذلك، وعمل السيد بشير السعداوي قصارى جهده لإخماد نار الفتنة وتهدئة الوضع، ولكن الأمر قد فاق قدرته، واحتل الإنجليز ينبع واستطاع السيد بشير السعداوي أن يفلت من قبضتهم بمساعدة أحد مشايخ العرب بالحجاز، حيث خبأه أربعة أيام ثم هربه إلى المدينة المنورة ومنها وصل إلى دمشق في سنة 1917م، وفي

فبراير 1918م عين قائمقام (للمرة الرابعة) في قضاء جزين بلبنان ويقطن هذه المنطقة المسيحيون، وكان أول قائمقام مسلم يعين لمسيحي جزين بجنوب لبنان ؛ أحبه نصارى جزين لعدله وإنصافه وبالروح السياسية معهم واثنوا عليه بالإطراء، وبعد زحف الإنجليز والفرنسيس على لبنان غادرها متوجهاً إلى تركيا، وبعد هزيمة تركيا نهائياً في الحرب العالمية الأولى، اتجه صوب القضية الليبية والجهاد ؛حيث التقى السيد أحمد الشريف السنوسي في تركيا وشاوره في تأليف وفد يذهب إلى باريس ليعرض القضية الليبية وشجونها، فوافق السيد أحمد الشريف، ولكن لم يتحمس الأتراك لدعم هذا العمل كثيراً، فقرر الرجوع إلى ساحات القتال وعاد إلى وطنه مجدداً ووصل طرابلس في أوائل سبتمبر عام 1920م، بعد أن اشتعلت الفتن والقلاقل الداخلية بين الزعماء الطرابلسيين فتولى بدوره القيام بمهمة إصلاح بين المتخاصمين، ولم يكن الوضع في برقة بأحسن حال من وضع إقليم طرابلس ذلك أن السلطات الإيطالية المحلية بعد أن ألغت كافة الاتفاقات المعقودة مع الأمير إدريس السنوسي وحلت الأدوار المختلطة أصدرت أوامرها إلى قادتها العسكريين بمهاجمة إجدابيا مقر الحكومة البرقاوية فدارت معارك عنيفة بين المجاهدين الليبيين والقوات الإيطالية بلغ عدد شهداؤها حوالي 800 مجاهد خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 1923م[32].

وفي هذا الشأن قام السيد بشير السعداوي بأدوار متعددة في الدفاع عن وطنه ليبيا، منها على سبيل المثال مجابهة مخاطر التغلغل الإيطالي السلمي في ولاية طرابلس الغرب ونبه السكان المحليين إلى الأطماع الإيطالية في بلادهم .

كما اشترك عملياً في الدفاع عن التراب الوطن عندما وقع الغزو العسكري الإيطالي المسلح في 5 أكتوبر 1911م وذلك بمشاركته في معارك الدفاع عن منطقة الخمس ومصراتة ...وغيرها .

وعمل جاهداً على توحيد القيادة الوطنية بين إقليمي طرابلس الغرب وبرقة من خلال مساعيه الحميدة في تقريب وجهات النظر بين زعماء الإقليمين والتي نتج عنها

اتفاق زعماء الإقليمين على عقد مؤتمرهم الوطني في سرت بتاريخ 21 يناير 1922م وشارك بشير السعداوي في المؤتمر الإسلامي في القدس عام 1931م عارضاً القضية الليبية، فتفاعل معه العالم تفاعلاً شديداً الأمر الذي دفع الشيخ عز الدين القسام بالحث على الجهاد، وقد تطوع 200 مقاتل للقتال إلى جانب المجاهدين الليبيين[33].

ويتضح من ذلك بأن بشير السعداوي لم يترك فرصة انعقاد هذا المؤتمر تمر من دون أن يجعل قضية طرابلس– برقة تحتل مكان الصدارة من بين القضايا العربية التي شغلت الأذهان في العالم الإسلامي حينها ولقد كان انعقاد هذا المؤتمر الفرصة المواتية لتبلغ القضية الليبية ذروتها في تلك الحملة العنيفة الدعائية التي شنها (السعداوي) على الاستعمار الإيطالي في وطنه[34].

ونتيجة لرجاحة عقله اعجب بشخصيته الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وعينه مستشاراً له وبقي بهذه الوظيفة حتى مجيء الملك سعود بن عبد العزيز، وقدم استقالته فيما بعد ليتفرغ تماماً للدفاع عن استقلال ووحدة بلاده ليبيا[35].

عمل بشير السعداوي كل ما في وسعه لاستقلال ووحدة ليبيا وتحقيق ذلك بالفعل بإعلان المملكة الليبية[36] المتحدة باتحاد أقاليم ليبيا الثلاثة طرابلس– برقة– فزان بتاريخ 24 ديسمبر 1951م وإعلان محمد إدريس السنوسي ملكاً على ليبيا.

وقد خاض بشير السعداوي في العام 1951م انتخابات مجلس النواب، ولكنها كانت في غير مصلحة (بشير السعداوي)، وارغم بشير السعداوي على مغادرة ليبيا إلى بيروت من قبل حكومة المملكة الليبية. ظل بشير السعداوي في منفاه إلى حين وافتهالمنية في 17 يناير 1957م في بيروت عن عمر ناهز 74 عاماً، وأحضر جثمانه فيما بعد في بداية السبعينات من القرن الماضي ليدفن في مقبرة الشهداء بمدينة طرابلس[37] .

الخاتمة:

من خلال دراسة هذه الشخصية يتضح دورها الكبير في خدمة بلاده رغم اضطهاد المستعمر الإيطالي له وللحركة الوطنية داخل طرابلس.

فقد عمل السعداوي على تأسيس حركة خارج ليبيا لمقاومة المستعمر وهى حركة سياسية هدفها توضيح أساليب المستعمر وتوضيحه للرأي العام وبأن إيطاليا دولة محتلة تهدف للسيطرة على ليبيا ويجب محاربتها وطردها من ليبيا وقد استمرالسعداوي في نضاله وقام بتأسيس جمعية الدفاع الطرابلسية البرقاوية وقد تجمع أغلب النخب والمناضلين حولها للوقوف ضد المستعمر الإيطالي وقد قام السعداوي أيضاً بتمثيل ليبيا في كافة المحافل الخارجية وسخر جهده ووقته لخدمة بلاده، وأصبح السعداوي رمز من رموز الكفاح والنضال الوطني وتوفى خارج ليبيا ودفن في المنفى.

الهوامش:

1. صلاح الدين حسن السوري، تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في و132 طرابلس الغرب 1835-1911، مجلة البحوث التاريخية، السنة 5، العدد 2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، 1983م، ص 228 .

2. الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص 132

3. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ج 1، المجلد 2، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، 384.4 .

4. صلاح الدين حسن السوري، تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب 1835-1911، مجلة البحوث التاريخية، السنة 5، العدد 2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، 1983م، ص 228 .

5. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 394 .

6. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 23 .

7. جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة : ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1966م، ص 96،97 .

8. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 424.

9. ن . ابروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، منتصف القرن السادس – مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم : عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، 1991م، ص 33 .

10. القائم مقام هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، وهو أعل2003م.إداري الأقضية، وهي كذلك من الرتب العسكرية في الدولة العثمانية بعد إلغاء الانكشارية توازي رتبة العقيد في مصطلحاتنا المعاصرة .

أبن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع، دار الحديث، القاهرة، 2003م .

11. المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (137)، وثيقة رقم (1) .

12. وهو المؤتمر الذي شكلت فيه حكومة وطنية سميت هيئة الإصلاح المركزية.

13. منشورات جمعية الدفاع الطرابلسي – البرقاوي، الذكرى السابعة والعشرين لاحتلال إيطاليا طرابلس – برقة ص 33 .

14. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 773 .

15. لبشير السعداوي بك، فضائح الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس– برقة.

16. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، دار الفتح، بيروت، 1973م، ص 353 .

17. بشير السعداوي بك، ، فضائح الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس – برقة، جمعية الدفاع عن طرابلس – برقة ص20 .

18. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مصدر سابق، ص70، علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، ص 470 .

19. نقولا زيادة، محاضرات في محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال، القاهرة 1958م . ص 146

20. ن . أبرو963.تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة : عماد حاتم، مراجعة : ميلاد المقرحي، منشورات مركز الجهاد الليبي، ص285، 289.

21. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، ج1، 1945–1947م، م2، القاهرة، 1957م، ص 963 .

22. منشورات جامعة الدول العربية الإدارة السياسية بالمسألة الليبية، القاهرة، 195ص3.ص3 .

23. بشير السعداوي بك، ، فضائح الاستعمار الإيطالي الفاشستي في طرابلس وبرقة، جمعية الدفاع عن طرابلس – برقة، القاهرة، د.ت .

24. منشورات جامعة الدول العربية، مرجع سابق، ص33 – 34.

25. بشير السعداوي، المصدر السابق ص18 .

26. محمد فؤاد الشكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 155 .

27. مصطفى أحمد بن حليم (رئيس وزراء ليبيا الأسبق)، ليبيا انبعاث أمة .... وسقوط دولة، منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، 2003م، ص72 .

28. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 985 .

29. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، مصدر سابق، ص 411 .

30. مشروع بيفن – سفورزا : وهو المشروع الذي حضرت له كلاً من بريطانيا وايطاليا، من أجل تقسيم ليبيا سنة 1949م، لكن الأمانة العامة في جامعة الدول العربية اتخذت جميع الوسائل لإحباط المشروع، وقد استطاعت من توحيد الكلمة في مايو 1949م، لإفشال مشروع بيفن – سفورزا . للمزيد أنظر : عمر سعيد بغني، بيفن سفورزا، مشروع التجزئة الليبية، مجلة الشهيد، العدد الحادي عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، 1990م، ص143 .

31. مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مذكرات رئيس وزراء ليبيا الأسبق، ط6 بريطانيا، 1992م، ص31 – 32.

32.محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة مصدر سابق، ص433 – 435؛ خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911 – 1931م، دار الثقافة العربية، بيروت، 1973م، ص . 47 .

33.رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة، ترجمة : إبراهيم سالم بن عامر، دار الأندلس ،بنغازي، 1980م، ص31 – 32.

34. محمد عصفور سلمان، لمحات من تاريخ الوطن العربي المعاصر، ديالي، العراق، 2001م، ص77.

35. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، ص 33 .

36. محمد فؤاد شكري، المصدر نفسه .

37. منشورات جامعة الدول العربية، المسألة الليبية، مرجع سابق، ص11 .